

## تقييم الأداء الإعلامي لحركة حماس والحكومة الفلسطينية 2007-2006

رأفت مرة<sup>148</sup>

دخلت حركة المقاومة الإسلامية حماس مرحلة جديدة من عملها السياسي والجهادي إثر فوزها في الانتخابات التشريعية، التي جرت في الضفة الغربية وقطاع غزة في شهر كانون الثاني/يناير 2006.

وانعكست هذه التجربة على الأداء الإعلامي لحركة حماس، وللحكومة الفلسطينية الأولى التي شكلتها الحركة، ومن ثم على حكومة الوحدة الوطنية، اللتين تعرفان في الترتيم بالحكومتين العاشرة والحادية عشرة.

وتعدّ تجربة حماس في الأداء الإعلامي طوال فترة دخولها السلطة، ومشاركتها فيها تجربة فريدة وغنية، من حيث أدائها الخاص كحركة سياسية، أو من حيث أدائها كسلطة عامة مسؤولة عن الحكم، أو مشاركة فيه في الإطارين التشريعي والحكومي. ويحمل الأداء الإعلامي لحركة حماس ولحكومتها - إن صحّ التعبير - نكهة خاصة للأسباب التالية:

1. إن حركة حماس هي حركة إسلامية، من حيث العقيدة والفكر والمنهج، ويحكم الإسلام كافة مشاريع الحركة وبرامجها الاجتماعية. ووصول حماس إلى الحكم في الضفة الغربية وقطاع غزة، عدّ مؤشراً على قوة الإسلاميين، وحجم التأييد الذي يلقونه في المجتمع الفلسطيني، الذي سمح بوصول قوة إسلامية إلى حكم مجتمع تعددي كالمجتمع الفلسطيني، اعتاد نمطاً آخر من أنواع الحكم، إذ سيطر على جزء منه، ولفترة طويلة أعقبت اتفاق أوسلو، التيار العلماني الذي تتزعمه فتح، وتسانده قوى يسارية ومؤسسات أخرى.

<sup>148</sup> كاتب فلسطيني، ورئيس تحرير مجلة فلسطين المسلمة.

2. عُدد وصول حماس إلى السلطة، هو وصول للمعارضة إليها، ذلك أن حماس صنفت بعد اتفاق أوسلو على أنها حركة معارضة للتسوية، وللاتجاه السياسي للسلطة الحاكمة. وبالتالي، وفي ظلّ عدم اقتناع السلطة الحاكمة بنتائج الانتخابات، ومعارضتها الجوهرية والمبدئية لحركة حماس، وما تحمله من مشروع ديني واجتماعي، دُفعت السلطة الحاكمة التي تقودها فتح إلى عدم تسليم جزء أساسي من السلطات القوية والحساسة والمؤثرة إلى حماس المعارضة، ومن بينها سلطة الإعلام. إذ أصدر رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس عدّة مراسيم قضت بتحويل تبعية أجهزة الإعلام، خصوصاً تلفزيون فلسطين، ووكالة الأنباء الفلسطينية "وفا"، إلى رئاسة السلطة، علماً بأنّ أبا مازن دخل في صراع طويل مع الشهيد ياسر عرفات؛ من أجل نقل تبعية أجهزة الإعلام الفلسطينية من الرئيس عرفات إلى الحكومة، حين تولى أبو مازن رئاسة الوزراء سنة 2003.

### إعلام الحكومة ضدّ الحكومة:

بهذا الشكل أصبحت حماس تواجه مجتمعاً إعلامياً يحمل الخصائص التالية:

1. الإعلام الرسمي يتبع رئاسة السلطة ورئاسة منظمة التحرير الفلسطينية، اللتان تعارضان حماس في نهجها السياسي ونهجها المقاوم.
2. ثمة عدد من وسائل الإعلام التي تصدر أو تبثّ من الضفة وغزة، خصوصاً الصحف تتلقى تمويلاً من السلطة الفلسطينية، وجزء منها يشبه الإعلام الحكومي في مضمون أخباره وتحليلاته.
3. النظام الإعلامي في السلطة الفلسطينية بني، منذ اتفاق أوسلو، على أنه نظام مؤيد للسلطة، التي جاءت مع اتفاق أوسلو، وانعكس ذلك على كل أشكال الحرية التعبيرية، ومعاقبة الصحفيين وتهديدهم، وتعيين الكتّاب والمراسلين والمديرين ومقدّمي البرامج وكذلك التمويل.

وبالتالي حين وصلت حماس إلى الحكم وجدت نفهسا في مواجهة ليس مع السلطة السياسية فقط، بل في مواجهة مع النظام الإعلامي الفلسطيني الرسمي، أو القريب منه والموالي له، ودخلت حركة حماس في إشكالية لم يواجهها أي حزب حاكم - إن صحّ التعبير - وهي أن أجهزة إعلام السلطة تهاجم رئيس الوزراء والوزراء، وترفض نقل المؤتمرات الصحفية لرئيس الحكومة، ولا تغطي جولاته الخارجية، ولا استقبالاته



وأنشطته، لا بل إن أجهزة الإعلام الرسمية التابعة للسلطة كانت تتجاهل روايات رئيس الوزراء للأحداث السياسية والأمنية وللوقائع الميدانية التي تحصل، وتتبنى روايات مخالفة لها تماماً، كما حدث أثناء محاولة اغتيال رئيس الحكومة الأستاذ إسماعيل هنية عند دخوله إلى قطاع غزة في 14/12/2006.

ثم إن التلفزيون الفلسطيني لم يستضيف رئيس الوزراء في برنامج خاص، إلا ربما مرة واحدة، كما أنه نادراً ما استضاف وزراء من الحكومة أو مسؤولين من حركة حماس، في حين كانت برامج تلفزيون فلسطين مفتوحة لكل من يريد إظهار عيوب أو أخطاء الحكومة، أو يريد إطلاق الرصاص على ما كان يسميه التلفزيون "حكومة حماس".

وهل يعقل أن لا يغطي تلفزيون فلسطين الزيارة التي قام بها رئيس الحكومة الفلسطينية إسماعيل هنية إلى سورية، والسودان، والكويت، وقطر، وإيران وغيرها من الدول، وأدت إلى تحقيق مكاسب سياسية ودبلوماسية مهمة، إلى جانب المكاسب الاقتصادية والمالية، التي أثمرت بناء مشاريع، وتمويل مؤسسات، وتوفير رواتب للموظفين الفلسطينيين المحاصرين بقيمة تقارب 500 مليون دولار، إلى جانب المشاريع التنموية؟.

### الأداء الإعلامي للحكومة:

عين رئيس الوزراء إسماعيل هنية وزيراً للإعلام في حكومته العاشرة؛ هو يوسف رزقة، وناطقاً إعلامياً باسم الحكومة؛ هو الدكتور غازي حمد. وإذا كان غازي حمد هو صحفي، وكاتب سياسي، وعامل في صحيفة الرسالة في قطاع غزة، وصاحب أهم زوايا الصحف الفلسطينية ولديه علاقات إعلامية واسعة، فإن يوسف رزقة لم يُظهر أداءً إعلامياً جيداً يتماشى مع موقعه كوزير للإعلام، وظل الأداء الإعلامي لوزارة الإعلام في حدوده الدنيا، وأقل من المطلوب من وزير إعلام جاء في حكومة وصلت إلى السلطة، ممثلة لحماس وبشعبية كبيرة، ومنتظر منها الناس كثيراً. أسهمت شخصية رئيس الحكومة إسماعيل هنية، وأداؤه السياسي والشعبي، وحضوره الخطابي في تحسين الصورة الإعلامية للحكومة، وحافظت الحكومة على صورة إعلامية جيدة على الرغم من اتساع الحملات التي تعرضت لها وشمولها وخطورتها، وكثرة الاتهامات وتعدد أنواع الحصار، وكافة أشكال الفوضى الأمنية المنظمة.

لكن يسجل للحكومة العاشرة، ولحركة حماس أنه على الرغم من خطأ تصرف أبي مازن في استرداد تبعية أجهزة الإعلام الرسمية إلى رئاسة السلطة والمنظمة، وعلى الرغم من شراسة الحملة الإعلامية المنظمة التي واجهتها الحكومة، وعلى الرغم من الاتهامات الكثيرة التي طالت الوزراء، إلا أن الحكومة الفلسطينية التي شكلها إسماعيل هنية لم تقم بأي خطوة مخالفة للقانون، ولم تمارس أي تصرف بشع ضد الصحافة ووسائل الإعلام، وهنا نسجل لها التالي:

1. لم تقم الحكومة بالاستيلاء بالقوة على الأجهزة الإعلامية الرسمية.
2. لم تهدد الحكومة رؤساء المؤسسات الإعلامية الرسمية، ولم ترفع عليهم دعاوى، ولم تحلهم إلى القضاء.
3. لم تنشئ الحكومة وسائل إعلام جديدة، تتبع لها، تسيّرهما وفق سياساتها وأوامرها، وظلت الحكومة تتعاطى مع المؤسسات الإعلامية القائمة.
4. لم تهدد الحكومة الصحفيين والإعلاميين المعارضين لها، والذين كانوا يتحركون بأوامر أو يخضعون لتهديدات الأجهزة الأمنية، ومن بين هؤلاء عدد من رؤساء مكاتب وكالات أنباء، ومحطات تلفزيونية فضائية.
5. لم تقم الحكومة بفضح ممارسات الفساد والسرقة وجرائمهما في الوزارات السابقة، مع أنها وضعت يدها على مئات الملفات وقضايا الفساد، خصوصاً في وزارات الصحة والخارجية والحكم المحلي والشباب والرياضة والزراعة.

### الأداء الإعلامي لحماس :

بعد فوزها في الانتخابات التشريعية سنة 2006، واجهت حركة حماس واقعاً جديداً تمثل في وصولها إلى الحكم، وهي تحمل نهجاً إصلاحياً، ومشروع مقاومة للاحتلال.

من الناحية الإعلامية، كانت حماس معنية بالتعامل مع الواقع الإعلامي التالي:

1. تحقيق برنامجها الذي انتخبت على أساسه وتنفيذه.
2. تقديم رموز إعلامية جديدة، يتحدثون باسمها كحركة سياسية، ويحلون مكان القيادات التي فازت في الانتخابات، وأصبحوا أعضاء في المجلس التشريعي أو وزراء في الحكومة.
3. وضع خطاب إعلامي جديد يتماشى مع مرحلة وصول حماس إلى السلطة.
4. التعامل إعلامياً مع قضية الجمع بين السلطة والمقاومة.



5. مواجهة الحملات الإعلامية المنظمة، والردّ على الاتهامات المتواصلة. المراقب للأداء الإعلامي لحماس طوال سنة ونصف، يلاحظ أن الحركة نجحت إعلامياً في تثبيت نفسها، وفي الترويج لفكرها ونهجها، وخطها السياسي ومشروعها المقاوم.
- فقد نجحت حماس إعلامياً في النواحي التالية:
1. الثبات على المواقف الأساسية المبدئية، من حيث التمسك بوحدة الأرض والشعب، وبالمقاومة كحق شرعي لمواجهة الاحتلال. وظلت عناوين رفض الاعتراف بالكيان الصهيوني ومعارضة السلام معه، ورفض الاعتراف بشرعيته، والدفاع عن القدس، وإطلاق الأسرى، والتمسك بحق العودة، والوحدة الوطنية؛ واضحة في الخطاب الإعلامي للحركة.
  2. أبرزت حركة حماس رموزاً إعلامية جديدة، بعد انضمام غالبية رموزها إلى الحكومة أو التشريعي.
  3. استمرت حماس في تنفيذ الأنشطة الإعلامية الجماهيرية، وفي مواكبة قضايا المجتمع، خصوصاً قضايا التنمية والإصلاح والجدار الفاصل.
  4. طورت حركة حماس أداها الإعلامي المعروف باسم "الإعلام الشعبي" أو "الإعلام الجماهيري"، وذلك من خلال أشكال التعبير والتواصل الإنساني كافة.

### مؤسسات إعلامية جديدة:

وخلال وقت قصير نسبياً نجحت حركة حماس في إطلاق التالي:

1. صحيفة فلسطين، وهي صحيفة سياسية يومية، وأول صحيفة يومية في قطاع غزة. صدرت في 2007/5/3.
2. فضائية الأقصى، وقد بدأت تبث من قطاع غزة، على القمر الصناعي عرب سات وتقدم برامج سياسية ودينية وثقافية متنوعة، وبرامج للأطفال والأسرة.

### الاستثمار الإعلامي:

تمكّنت حماس من استثمار مجموعة من الأحداث والتطورات إعلامياً لصالحها؛ فلقد استفادت حماس من الفوضى الأمنية المنظمة، التي واجهت الحكومة العاشرة

والحادية عشرة، وأظهرت هذه الأحداث مدى الظلم الذي لحق بالحركة وبجمهورها. كما استفادت حماس إعلامياً - بشكل قوٍ حضورها وصورتها الإعلامية في الساحة - من الدعم الأمريكي لرئيس السلطة الفلسطينية، والدعم المالي للأجهزة الأمنية. واستثمرت حماس إعلامياً، وبشكل واسع، اللقاء الذي جمع في دمشق رئيس السلطة محمود عباس ورئيس المكتب السياسي للحركة خالد مشعل في شهر كانون الثاني/يناير 2006.

لكن الاستثمار الإعلامي الأهم كان في لقاء مكة، حيث تمّ التوقيع على اتفاق مكة في شباط/فبراير 2007، إذ تفوّقت حماس إعلامياً على فتح، وتفوّق رئيس الحكومة إسماعيل هنية على رئيس السلطة محمود عباس، بعدما نجح مشعل وهنية في ترتيب الجلوس على طاولة الحوار، وفي خطابيهما المتناسكين، والمعبرين سياسياً ودينياً ولغوياً، وهو ما أظهر حماس حركة قوية مؤثرة متماسكة، تعرف ماذا تريد، وتعبر بخطابها عن ما تريده.

وسبق لرئيس الوزراء إسماعيل هنية أن لمع إعلامياً من خلال مجموعة من الأحداث، سواء من خلال لعبه كرة القدم مع أطفال غزة، أو في زيارته لمنزل الطفلة هدى غالية، التي قتل الاحتلال عائلتها على شاطئ البحر في شهر أيار/مايو 2006، وأظهرت هدى غالية محبة وتعاطفاً مع إسماعيل هنية، الذي زارها في منزلها، بعكس الصورة التي ظهرت بها مع أبي مازن في مقرّ إقامته، الذي زارته هي، وظهرت خائفة ومبهورة.

وأحسنّت حركة حماس إدارة المجلات والصحف والمواقع الإلكترونية واستثمارها، سواء التابعة لها أو المقربة منها.

كما قامت بزيادة لغات موقع "المركز الفلسطيني للإعلام"، المقرب من الحركة، إلى ثماني لغات، ووظف هذا الموقع قدراته لبتّ مواقف الحركة وآراءها والدفاع عنها، وكشف وثائق تظهر مخططات الجهات المعادية لحماس.

ونجحت حماس في إطلاق أكثر من موقع إلكتروني في السنة والنصف الماضية، واستخدمت مواقع شبكات الحوار لفضح الممارسات ضدّ الحكومة وضدّ حماس. وأصبحت صحيفة الرسالة التابعة لحماس، والصادرة من قطاع غزة تصدر مرتين في الأسبوع، ونشرت مجلة فلسطين المسلمة المقربة من حماس عدة ملفات، تظهر الخلل السياسي في أداء رئاسة السلطة، وتكشف عن الخلل المالي والإداري في فريق محمود عباس.



**بعض الخلل:**

على الرغم من كل الإيجابيات التي حققتها حماس في أدائها الإعلامي، إلا أن ذلك لم يُحل دون ارتكابها مجموعة من الأخطاء.

فحركة حماس لم تقم بالدور الإعلامي المطلوب للدفاع عن نفسها، أمام الاتهامات التي مسّتها في بعض الأحيان، مثل إطلاق قذائف على مقرّات أمنية أو رسمية، أو جريمة قتل الأطفال الثلاثة من آل بعلوشة، أو مصادرة أسلحة وعتاد من شاحنات تابعة للحرس الرئاسي في كانون الثاني/يناير 2007.

كما أخطأت حركة حماس إعلامياً بشكل كبير، حين قامت ببثّ ونقل عملية سقوط بعض مواقع الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية في غزة، خلال شهر حزيران/يونيو 2007، وفي تصوير عناصر أمنية فلسطينية يرفعون أيديهم مستسلمين، وهم بالملابس الداخلية فقط.

كما أخطأت فضائية الأقصى أيضاً في نقل وبثّ عملية تصفية سميح المدهون الضابط في الأمن الوقائي، والتابع لمحمد دحلان، والمسؤول عن تصفية واغتيال وقتل عدد من كوادر حركة حماس ومن المدنيين والاعتداء على المؤسسات الرسمية.

ولا شك أن صورة حركة حماس تضررت إعلامياً، بشكل كبير، جرّاء هذه الأخطاء التي حصلت في قطاع غزة، وهو ما يستدعي من الحركة العمل الجادّ والسريع على تصحيح هذه الصورة، على قاعدة أن حركة حماس هي حركة إسلامية ذات قيم ومبادئ، وأنه لا يصحّ الخروج عن هذه القيم مهما كان السبب.

**ألن جونستون Alan Johnston:**

الحدث الإعلامي المهم الذي حقته حماس خلال المرحلة الأخيرة، كان مع قيام حركة حماس والقوة التنفيذية التابعة لوزارة الداخلية بالإفراج، بتاريخ 2007/7/4، عن الصحفي الاسكتلندي ألن جونستون بعد 114 يوماً على اختطافه. وخاضت حركة حماس مفاوضات شاقة مع ممتاز دغمش زعيم جماعة "جيش الإسلام"، التي اختطفت جونستون وهددت بقتله، حتى يتمّ إطلاق سراح أبو قتادة من السجون البريطانية، وساجدة الريشاوي من السجون الأردنية.

وبذلت حماس وحكومة هنية جهوداً سياسية واجتماعية مضنية؛ لإخراج جونستون من الاختطاف، حياً، في عملية شاقة كانت تواكبها السلطات البريطانية، من خلال اتصال قنصلها العام في القدس المحتلة، بشكل مباشر، مع رئيس المكتب السياسي

للحركة خالد مشعل ورئيس الوزراء إسماعيل هنية. وأعطت قضية إطلاق جونستون حياً، صورة إعلامية جيدة لحماس، أثبتت من خلال قدرتها على ضبط الأمن في غزة، وحرصها على حرية وسائل الإعلام، وأمن وسلامة الصحفيين خصوصاً الأجانب، وتواصلها الدائم مع أكثر من جهة أوروبية.

### مؤسسة إعلامية:

يتضح للمراقب للأداء الإعلامي لحركة حماس، أن الحركة تمتلك استراتيجية إعلامية تتفرع عنها خطط سنوية، تضطلع بتنفيذها مجموعة من المؤسسات والشخصيات القيادية المركزية في الحركة، المكلفة بالتعبير الإعلامي عن مواقف الحركة. وكان واضحاً أن حركة حماس عملت بديناميكية إعلامية مقبولة، فهي شكلت مكتباً إعلامياً للنواب، وأفرزت متحدثين جدد، ووطدت علاقاتها الإعلامية الدولية، فيما شكلت الحكومة فريقاً إعلامياً يعمل إلى جانب رئيس الوزراء. ويستطيع المراقب أن يلمس كل يوم عشرات المواقف الصادرة عن الحركة، سواء من خلال البيانات الرسمية، أو التصريحات المباشرة، أو السرعة في الرد على مجموعة من المواقف التي تستهدف الحركة، مثل اتهامها بالارتباط بإيران، أو أنها متطرفة، أو ارتباطها بالقاعدة.